والذاكرين الله كثيرا



د. كامل صبحي صلاح

مقالات متعلقة

تاريخ الإضافة: 16/2/2021 ميلادي - 4/7/1442 هجري

الزيارات: 24003

والذاكرين الله كثيرًا

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

لقد أمر الله جلّ وعلا عباده بأوامر عظيمة جليلة، ومن هذه الأوامر ذكره تبارك وتعالى، بل جاء الأمر الرباني بالإكثار منه في مواضع عدة من كتاب الله جل وعلا، وما ذاك إلا لعظيم مكانتها، وجلالة قدرها، وكثير نفعها وأثرها، ومما يدلّ على فضل ومكانة الذكر سرًّا وعلانيةً حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: «عنِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم فيما يَحكي عن ربِّه عزَّ وجَلَّ أنَّه قال: مَن ذكَرَني في نفْسِه ذكَرتُه في نفْسي، ومَن ذكَرَني في ملأٍ مِنَ الناسِ ذكَرتُه في ملأٍ أكثَرَ منهم وأطيَبَ» أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

وفي رواية: «يقولُ اللَّهُ تَعالَى: أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بي، وأنا معهُ إذا ذَكَرَنِي، فإنْ ذَكَرَنِي في نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ في نَفْسِي، وإنْ ذَكَرَنِي في مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ في مَلَإٍ خَيْرٍ منهمْ، وإنْ تَقَرَّبَ إلَيَّ بشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إلَيْهِ ذِراعًا، وإنْ تَقَرَّبَ إلَيَّ ذِراعًا تَقَرَّبْتُ إلَيْهِ باعًا، وإنْ أتانِي يَمْشِي أتَيْتُهُ هَرْوَلَةً» أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

ومن الفضائل التي يبينها هذا الحديث فضل الله جلّ وعلا وكرمه على عباده، وأنه سبحانه وتعالى يعطي أكثر مما عُمل وفُعل من أجله وابتغاء وجهه الكريم.

ومن عظيم أثر الذكر أنه راحة للقلوب ودواءٌ للنفوس، لحديث الْأَغَرِّ الْمُزَنِيِّ رضي الله تعالى عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي؛ وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ» «رواه مسلم/2702»

قال النووي رحمه الله تعالى: «قَالَ أَهْل اللُّغَة: (الْغَيْن)، وَالْغَيْم بِمَعْنًى واحد، وَالْمُرَاد هُنَا مَا يَتَغَشَّى الْقَلْب، قَالَ الْقَاضِي: قِيلَ: الْمُرَاد الْفَتَرَات وَالْغَفَلَات عَنْ الذِّكْر الَّذِي كَانَ شَأْنه الدَّوَام عَلَيْهِ، فَإِذَا فتر عَنْهُ أَوْ غَفَلَ، عَدَّ ذَلِكَ ذَنْبًا، وَاسْتَغْفَرَ مِنْهُ».

ومن هذه المواضع الوارد ذكرها في القرآن الكريم الدالّة والحاثّة على الإكثار من ذكره سبحانه وتعالى:

1- قوله تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الأحزاب: 41، 42].

يأمر الله جل وعلا في هذه الآية المباركة من كتابه الكريم عباده الذين صَدَّقوه جلّ وعلا ورسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بالإكثار من ذكره من تهليل، وتحميد، وتسبيح، وتكبير، وغير ذلك من أنواع الذكر وأسبابه الداعية له، لذا عليكم أيها العباد أن تذكروه بقلوبكم وألسنتكم وجوارحكم ذكرًا كثيرًا، فلا تخلو أبدانكم من ذكره في حال من أحوال طاقتكم ذلك، واشغلوا أوقاتكم بذكره تعالى صباحًا ومساءً، وفي أدبار وأعقاب الصلوات المفروضات، وعند كل موضع له سبب لذكره سبحانه، وأكثروا من كل قول فيه قربة إلى الله جل وعلا، وأقلّ ذلك أن يلازم العبد أذكار الصباح، وأذكار المساء، ويحرص كل الحرص على المداومة على ذلك، وألا ينقطع عن ذكر ربّه سبحانه وتعالى في جميع الأوقات، وعلى جميع الأحوال، فلا يشغله شاغل، ولا يمنعه مانع، ولا يحول دون ذلك حائل، وكذلك أمر الخالق عز وجل بالصلاة له غدوة، وهي «صلاة الصبح»، وعشيًّا وهي «صلاة العصر»، فإن القيام بذلك من أعظم العبادات المشروعة والقربات، ومن الأسباب الموجبة لمحبة الله تعالى ومعرفته والقرب منه جل وعلا ربّ البريّات، ومن المعينات على فعل كلّ الخيرات، وبعد اللسان عن التلفظ بكل قبيحات وزلات، وسمّيت الصلاة سُبحةً لما فيها من تنزيه الله تعالى عن كلّ سوء.

ولقد جُعل ذكر الله تعالى بلا تحديد نظرًا لسهولته، وعظيم الأجر والثواب المترتب عليه، وإنّ من نعم الله تعالى وفضله على العبد، توفيقه له للقيام بشكره وذكره سبحانه.

قال القرطبي: «أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِأَنْ يَذْكُرُوهُ وَيَشْكُرُوهُ، وَيُكْثِرُوا مِنْ ذَلِكَ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ. وَجَعَلَ تَعَالَى ذَلِكَ دُونَ حَدٍّ لِسُهُولَتِهِ عَلَى الْعَبْدِ. وَلِعِظَمِ الْأَجْرِ فِيهِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَمْ يُعْذَرْ أَحَدٌ فِي تَرْكِ ذِكْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ غُلِبَ عَلَى عَقْلِهِ. وَرَوَى أَبُو سَعِيدٍ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: (أَكْثِرُوا ذِكْرَ اللَّهِ حَتَّى يَقُولُوا مَجْنُونٌ). وَقِيلَ: الذِّكْرُ الْكَثِيرُ مَا جَرَى عَلَى الْإِخْلَاصِ مِنَ الْقَلْبِ، وَالْقَلِيلُ مَا يَقَعُ عَلَى حُكْمِ النفاق كالذكر باللسان».

وقال القرطبي: «قال محمد ابن كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ: لَوْ رُخِّصَ لِأَحَدٍ فِي تَرْكِ الذِّكْرِ لَرُخِّصَ لِزَكَرِيَّا بِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ «أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا».

وقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله تعالى عنهما: «لَمْ يَفْرِضِ اللَّهُ تَعَالَى فَرِيضَةً، إِلَّا جَعَلَ لَهَا حَدًّا مَعْلُومًا، ثُمَّ عَذَرَ أَهْلَهَا فِي حال العذر غير الذِّكْرُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ حَدًّا يُنْتَهَى إِلَيْهِ، وَلَمْ يَعْذُرْ أَحَدًا فِي تَرْكِهِ إِلَّا مَغْلُوبًا عَلَى عَقْلِهِ، وَأَمَرَهُمْ بِهِ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ، فَقَالَ: ﴿ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ ﴾ [النساء: ١٠٣]. وَقَالَ: ﴿ اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ أَيْ: بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَفِي الصِّحَّةِ وَالسَّقَمِ، وَفِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: الذِّكْرُ الْكَثِيرُ أَنْ لَا تَنْسَاهُ أَبَدًا».

2- وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾ [آل عمران:٤١].

أي: أكثر من ذكر ربك وشكره جل وعلا، وتسبيحه وتعظيمه في آخر النهار وأوله، فإنك لا تمنع ذكرَه، ولا يحول بينك وبين تسبيحه وتعظيمه حائل، ولا يصرفك عن ذلك صارف، وقيل المراد صلِّ بالعشي آخر النهار والإبكار أوله.

- ووقت العَشيّ: من حين تزُول الشمس إلى أن تغيب.

- ووقت الفيء: تبتدئ أوْبته عند زوال الشمس، ويتناهى بمغيبها.

- ووقت الإبكار: أوّل الفجر، ويكون ما بين مطلع الفجر إلى وقت الضُّحى.

3- وقوله تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال: 45].

أي: يا أيها الذين صدَّقوا الله تعالى ورسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وعملوا بشرعه، إذا لقيتم جماعة من أهل الكفر والشرك قد استعدوا لقتالكم، فاثبتوا ولا تنهزموا عنهم، واذكروا الله تعالى كثيرًا داعين وذاكرين ومبتهلين لإنزال النصر عليكم والظَّفَر بعدوكم من قبل ربّ العالمين؛ لكي تظفروا بالفوز والفلاح في دنياكم وأخراكم.

ولو رخص لأحد بترك ذكر الله جل وعلا لرخّص ذلك لمن يكون في حالة حرب وقتال، وهذا يدل على عظيم أثر الذكر عند الكروب، وفي الحروب.

قال القرطبي: « قال محمد بن كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ: لَوْ رُخِّصَ لِأَحَدٍ فِي تَرْكِ الذِّكْرِ لَرُخِّصَ لِلرَّجُلِ يَكُونُ فِي الْحَرْبِ بِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأنفال: ٤٥].

4- وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الجمعة: 10].

أي: فإذا سمعتم الخطبة، وأدَّيتم الصلاة، فانتشروا في الأرض، واطلبوا من رزق الله تعالى بسعيكم في طلبه، واذكروا الله تعالى كثيرًا في جميع أحوالكم وأوقاتكم؛ لعلكم تفوزون بخيري الدنيا والآخرة.

وذكر بعض المفسرين أن ذكر الله تعالى يكون حال بيعكم وشرائكم، فلا يشغلكم عن ذكره سبحانه وتعالى شاغل.

قال ابن كثير: «أَيْ: حَالَ بَيْعِكُمْ وَشِرَائِكُمْ، وَأَخْذِكُمْ وعطائكم، اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا، وَلَا تَشْغَلْكُمُ الدُّنْيَا عَنِ الَّذِي يَنْفَعُكُمْ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ».

5- وقوله تعالى: ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: 35].

أي: والذاكرين الله تعالى والذاكرات بقلوبهم وألسنتهم كثيرًا سرًّا وعلانية، وفي أكثر الأوقات، خصوصًا أوقات الأوراد المقيدة، كأذكار الصباح والمساء، وأدبار الصلوات المكتوبات، والذكر الكثير يكون على أقل تقدير (ثلاثمائة وثلاثين مرة) في اليوم والليلة زيادة على ذكر الله تعالى في الصلوات الخمس، وفهم ذلك من كون الذكر يكون بعد الصلوات الخمس ثلاثًا وثلاثين مرة وبمضاعفة هذا العدد عشر مرات يكون قد ذكر الله جل وعلا ذكرًا كثيرًا.

قال النووي رحمه الله تعالى: «وقد اختُلِف في ذلك؛ فقال الإمامُ أبو الحسن الواحديّ: قال ابن عباس رضي الله عنه: المراد يذكرون الله في أدبار الصلوات، وغدوًّا وعشيًّا، وفي المضاجع، وكلما استيقظ من نومه، وكلما غدا أو راح من منزله ذكرَ الله تعالى.

وقال مجاهد: «لا يكونُ من الذاكرين الله تعالى كثيرًا والذاكرات، حتى يذكر الله تعالى قائمًا وقاعدًا ومضطجعًا».

وقال عطاء: «من صلَّى الصلوات الخمس بحقوقها، فهو داخلٌ في قول الله تعالى: ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ ﴾.

وسئل أبو عمرو ابن الصلاح -رحمه الله تعالى- عن القدر الذي يصير به من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات؟

فقال: «إذا واظب على الأذكار المأثورة المثبتة، صباحًا ومساءً، وفي الأوقات والأحوال المختلفة، ليلًا ونهارًا». «الأذكار، للنووي، ص:41»

هذا ما تيسر إيراده، نسأل الله جلّ وعلا أن ينفع به، وأن يكون لوجهه الكريم خالصًا، ونسأله سبحانه أن يجعلنا من الذاكرين له كثيرًا، اللهم أعنّا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، والحمد لله ربّ العالمين.

المصادر والمراجع:

1- «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» (تفسير الطبري)، للإمام محمد بن جرير الطبري.

2- «الجامع لأحكام القرآن»، للإمام محمد بن أحمد بن أبي بكر شمس الدين القرطبي.

3- «تفسير القرآن العظيم»، للإمام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير.

4- «معالم التنزيل» (تفسير البغوي)، للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي.

5- «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»، الشيخ عبدالرحمن السعدي.

6- «أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير»، الشيخ جابر بن موسى بن عبد القادر المعروف بأبو بكر الجزائري.

7- «المختصر في التفسير»، مركز تفسير.

8- «التفسير الميسر»، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

9- «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج»، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي.

10- «الأذكار»، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي.
